

الفصل الثانى

أثر الطاعات فى بركة الأرزاق

المحتوى

- (١-٢) - تمهيد .
- (٢-٢) - معنى الطاعات فى ضوء القرآن والسنة .
- (٣-٢) - معنى البركة فى الأرزاق فى ضوء القرآن والسنة .
- (٤-٢) - أثر الإيمان والتقوى فى بركة الأرزاق .
- (٥-٢) - أثر التوكل على الله فى بركة الأرزاق .
- (٦-٢) - أثر الالتزام بالأخلاق الحسنة فى بركة الأرزاق .
- (٧-٢) - أثر الالتزام بالضوابط الشرعية فى بركة الأرزاق .
- (٨-٢) - أثر إتقان العمل وتحسينه فى بركة الأرزاق .
- (٩-٢) - أثر الاستغفار فى بركة الأرزاق .
- (١٠-٢) - خاتمة .

(٢ - ١) - تمهيد

سبحان الله الذي وعد الذين يطيعونه بالفوز في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، فهو القائل : **﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾** (الأحزاب : ٧١) وكان صحابة رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم والمؤمنون مطيعين لأوامر الله وهدى رسوله ﷺ ولقد ورد عنهم قول الله ﷻ : **﴿ وقالوا سمعنا وأطعنا غفراناً ربنا وإليك المصير ﴾** (البقرة : ٢٨٥) ، وكان من أثر ذلك أن أحياهم الله سبحانه وتعالى حياة طيبة رغبة في الدنيا ، وفازوا برضاء الله في الآخرة ، فقال جل شأنه : **﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجيبه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾** (النحل : ٩٧) ، والطاعة تكون لله ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

ولا ينبغي لأحد أن يتحرج من طاعة الله ﷻ خشية الناس ، فالله ﷻ أحق أن نخشاه مصداقاً لقوله ﷻ : **﴿ قاله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾** (التوبة : ١٣) ، وقوله ﷻ : **﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾** (النور : ٥٢) :

وطاعة الله سبحانه وتعالى تتمثل في الاستجابة لأوامره والابتعاد عن معاصيه ، وأن يكون ذلك شاملاً لكل جوانب الحياة ، وليس في الشعائر فقط كما يظن بعض الناس ، ومن ثمرات الطاعات تحقيق البركات في الأرزاق ، وتعني زيادة المنافع المشروعة التي تعين المسلم على أن يحيا حياة رغبة طيبة عابداً وشاكراً لله على رزقه ونعمه ، ولا تقتصر البركة على الرزق العيني المادي ولكن تشمل الرزق المعنوي الحسي الذي يحقق الإشباع الروحي للمسلم .

وفي هذا الفصل من الكتاب سوف نبين أثر طاعة الله في تحقيق البركات في الأرزاق في ضوء ما ورد بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكذلك في ضوء أقوال العلماء والفقهاء من السلف والخلف رضوان الله عليهم أجمعين .

ومن الطاعات التي سوف نركز عليها : الإيمان بالله ﷻ وخشيته والتوكل عليه والالتزام بالأخلاق الحميدة مثل : الصدق والأمانة والوفاء وصلوة الأرحام ، والالتزام بمبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية ، والعمل المتقن المجود ، وأخيراً نتناول أثر الاستغفار في تحقيق البركات في الأرزاق .

(٢-٢) - معنى الطاعات فى ضوء القرآن والسنة

الطاعة معناها : الامتثال لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ ، أى فعل المأمور به سواء كان فريضة، أو واجباً، أو نافلة، وكذلك الامتناع عن فعل المنهى عنه.

وتدور الطاعة مع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولقد أمر الله عباده بذلك فى العديد من الآيات القرآنية الكريمة ، مثل قوله : **﴿ولنكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** (آل عمران ١٠٤) ، وقوله ﷺ : **﴿كنتم خيرة أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** (آل عمران : ١١٠) ولقد أمرنا رسول الله ﷺ بذلك فقال : " يا أيها الناس مروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم ، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم ، إن الأمر بالمعروف لا يقرب أجلاً ، وإن الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم وعمهم البلاء " (الطبرانى) ، وعن حذيفة بن اليمان ؓ ، عن النبى ﷺ قال : " والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم " (رواه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح)

وثواب طاعة الله ورسوله ، الحسنات ، فالحسنة تأتى من الطاعة والسيئة تأتى من المعصية ، ولقد ورد فى القرآن الكريم آيات مباركات حول هذا المعنى ، منها قوله ﷺ : **﴿فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً﴾** (الفتح : ١٦) ، وقوله سبحانه وتعالى : **﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقنه فأولئك هم الفائزون﴾** (النور : ٥٢) .

ومن أركان الطاعة الفهم الصحيح للإسلام بصفة عامة ، والعلم التام بمبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية ، ومعرفة الحلال والحرام ، فقد يعمل المسلم عملاً فيه معصية لله وهو لا يدرى ، أو لا يقوم بعمل وفيه طاعة لله وهو لا يدرى ، ولقد ذكر الله ذلك فى كتابه الكريم فى مواضع كثيرة ، منها قوله تبارك وتعالى : **﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين﴾**

أعمالاً ، الذين ظل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (الكهف : ١٠٣-١٠٤) ، كما أن من مداخل الشيطان تزيين العمل السيئ ، يقول الله تبارك وتعالى : **﴿ أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله ﴾** (محمد : ١٤) ، وقوله سبحانه وتعالى : **﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون ﴾** (فاطر : ٨) .

(٢-٣) - معنى البركة فى الأرزاق فى ضوء القرآن والسنة

تعنى البركة بصفة عامة النماء والزيادة ، وقيل كذلك إن البركة تعنى الكثرة فى كل خير ، يقال بارك الله الشيء وبارك فيه وعليه ، يعنى وضع الله فيه النفع والخير الكثير .

وفى مجال العبادات يقصد بالبركة السعادة ، ففى التشهد يقال : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، أى أسعدك الله وشرفك ومجداك .

ويقصد بالبركة فى الأرزاق الزيادة والكثرة فى المنفعة المعتبرة شرعا والأرزاق المبارك هو الذى وضع الله فيه الخير الكثير ، ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى كثير من الآيات : يقول الله سبحانه وتعالى : **﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾** (الإسراء : ١) ، فلقد فسر الفقهاء كلمة باركنا حوله فى هذه الآية بأن الأرض التى حول المسجد طيبة خصبة بكثرة زروعها وثمارها وخيراتها^١ .

كما ورد قول الله سبحانه وتعالى : **﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾** (الأعراف : ٩٦) ، ومعنى البركات فى هذه الآية : الخيرات الكثيرة : الماء والزروع والثمار وما فى باطن الأرض من معادن وثروات .

^١ - ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣ .

وفي سورة فصلت يوضح الله ﷻ أنه خلق الأرض في يومين وبارك فيها وقدر فيها أقوات المخلوقات فقال تعالى : ﴿ قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيّاً مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّانِلِينَ ﴾ (فصلت : ٩-١٠) ، ومعنى بارك فيها أى جعل فيها الخير الكثير والمنافع للناس .

وفي السنن ما يدل على أن البركة بمعنى الخير الكثير والنفع والسعادة ، فعن ابن مسعود ؓ قال : " ولد لى غلام فأتيت به النبي ﷺ ، فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ودفعه إلى " (البخارى ومسلم) ومن الدعاء المأثور عن النبي ﷺ لوالدى المولود " بورك فى الموهوب ، وشكرتم الواهب ، وبلغ أشده ، ورزقتم بره " ، وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة دعا ربه فقال : " اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلته بمكة من البركة " (البخارى ومسلم) ، وعن أبى هريرة ؓ قال : كان رسول الله ﷺ إذا أتى بأول الثمر قال : " اللهم بارك لنا فى مدينتنا وفى ثمرنا وفى مدنا وفى صاعنا ، بركة مع بركة ، اللهم إن إبراهيم عبدك ونبيك وخليتك ، وإنى عبدك ونبيك وإنه دعائك لمكة ، وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعائك لمكة ومثله معه ، ثم يعطيه أصغر من يحضر من الولدان " (مسلم) ، ومن المأثور عن الرسول ﷺ من أدعية الزواج : يقال لمن تزوج : " بارك الله لك وبارك عليك ، وجمع بينكما فى خير " (البخارى ومسلم) .

ومن دعاء وتحية المسلمين لبعضهم البعض السلام والرحمة والبركة وهذا وارد فى صيغة السلام : " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " ، وأيضاً فى مجال المعاملات ، حيث يدعو البائع للمشتري عندما تعقد الصفقة ، " بارك الله لك فى بيعك " ، وتعنى أن يزيد ربنا لك فى قيمة المبيع ، روى البخارى أن المهاجرين لما قدموا المدينة أذى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن الربيع : فقال سعد لعبد الرحمن : إبنى أكثر الأنصار مالاً ، فاقسم مالى نصفين ، ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك ! فسمها لى أطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها ، قال عبد الرحمن : "بارك الله لك فى أهلك ومالك ، أين سوقكم" ^١

^١ - الشيخ محمد الغزالي ، " فقه السيرة " ، دار الدعوة ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ٢١١ .

(٢-٤) - أثر الإيمان والتقوى في بركة الأرزاق

من الأوامر التى يجب أن تطاع ، الإيمان بالله عز وجل وتقواه ، ولقد تكرر ذلك فى العديد من الآيات ، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ﴾ (محمد ٣٣) ، وقوله عز وجل : ﴿ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴾ (نوح : ٣) ، وليس الإيمان بالله ﷻ شعاراً وقولاً باللسان ، ولكن عمل باستشعار ومراقبة الله ﷻ ، ولقد فسر ذلك رسول الله ﷺ فقال : " ليس الإيمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل " (متفق عليه) ، فلا بد من أن تحرك قوى الإيمان الكامنة فى القلب الجوارح بالعمل الصالح ، وهذا دليل الإيمان السليم مصداقاً لقوله ﷺ : " لا يقبل إيمان بلا عمل ، ولا عمل بل إيمان " (رواه الطبرانى).

ولقد ربط الله ﷻ بين الإيمان والتقوى والبركة فى الأرزاق فى قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف : ٩٦) ويقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : "ولو أن أهل القرى آمنتم قلوبهم بما جاء به الرسل وصدقتم به واتبعوه ، واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات لفتح الله عليهم قطر السماء ونبات الأرض" ، ولقد ورد فى فتح الرحمن فى تفسير القرآن : من يتق من أهل القرى ويصبر فإن الله لا يضيع أجره ، لا فى أولاه ولا فى عقباه، فالمؤمنون المتقون تفتح عليهم خيرات السماء وثمرات الأرض نامية مزيدة متعظمة^١.

ولقد علق صاحب الظلال على هذه الآية تعليقا يتفق مع سياق المقام الذى نحن بصدده ، يقول الإمام سيد قطب : " ...فالبركة قد تكون مع القليل إذا أحسن الانتفاع به

^١ - ابن كثير ، " تفسير القرآن العظيم " ، ج ٢ ، صفحة ٢٢٥ .

^٢ - د . عبد المنعم نعيلى ، " فتح الرحمن فى تفسير القرآن " ، ج ٢ ، ص ١٠٤٥ .

وكان معه الصلاح والأمن والرضى والارتياح ، وكم من أمة غنية قوية ولكنها تعيش فى شقوة مهددة فى أمنها ، مقطعة الأواصر بينها ، يسود الناس فيها القلق ، وينتظرها الاحلال ، فهى قوة بلا أمن ، وهو متاع بلا رضى ، وهى وفرة بلا صلاح ، وهو حاضر زاهٍ ينتظره مستقبل نكد ، وهو الابتلاء الذى يعقبه النكال ، إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى ، بركات فى الأشياء ، وبركات فى النفوس ، وبركات فى المشاعر ، وبركات فى طبيبات الحياة بركات تنمى الحياة وترفعها فى آن ، وليست مجرد وفرة مع الشقوة والتردى والاحلال^١

وقال الله تعالى: ﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدّة وكثير منهم ساء ما يعملون﴾ (المائدة : ٦٥-٦٦) ، تؤكد هذه الآيات أن الإيمان والتقوى وتطبيق شرع الله من موجبات الأرزاق فى كل الأديان الإلهية .

ومن المنظور الاقتصادى الإسلامى ، فإن المسلم التقى الذى يؤمن بأن العمل عبادة وطاعة وعزة ، ويأخذ بالأسباب ، ويتقن الصنعة ، ويجود المنتج ، فهذا يحقق البركة والنماء فى المال والزيادة فى الربح ، ويعنى أن الله ﷻ يزيد له من الانتفاع فيما أعطاه ، وهذه هى البركة التى وعدّها الله لعباده المؤمنين المتقين ، حيث تكون البركة فى الحياة الدنيا ، والأجر فى الآخرة ، مصداقاً لقول الله تبارك وتعالى : ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجيبه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (النحل : ٩٧) .

^١ - سيد قطب ، " فى ظلال القرآن " ، الجزء الثالث ، صفحة ١٣٣٩ - ١٣٤٠ .

ويقول الدكتور يوسف القرضاوى فى هذا الخصوص ما يلى : " إن الإيمان والتقوى والصلاح والاستقامة توجب علينا أن نوازن بين ديننا ودنيانا ، وأن نتعبد لله بمراعاة سننه الكونية ، وأن نعد لأعدائنا ما استطعنا من قوة وأن نغرس ونزرع ونصنع ونقوم بكل علم أو صناعة تحتاج إليها الأمة فى دينها ودنياها ، وهذا ما اعتبره فقهاء المسلمين فرض كفاية ، تأثم الأمة كلها بالتفريط فيه ، إن التقوى المنشودة ليست مسبحة درويش ، ولا عمامة متمشيخ ، ولا زاوية متعبد ، إنها علم وعمل ، ودين ودنيا ، وروح ومادة ، وتخطيط وتنظيم ، وتنمية وإتقان ، وإنتاج ، وإتقان وإحسان"^١

ويعتبر الإيمان والتقوى من البواعث الذاتية للسعى والضرب فى الأرض لجلب الرزق ، كما أنها من موجبات العمل المخلص الصادق الأمين ، ومن دوافع إتقان العمل وتحسينه ليزداد الطلب عليه سواء كان منتجاً أو خدمة ، فينمو المال ويتحقق النماء ويزداد الكسب ، وهذا كله يظهر عظمة الإسلام الذى يمزج بين الجوانب الإيمانية والجوانب المادية فى إطار متوازن بحيث يحقق مطلوبات الروح والجسد معا ، فيحيا الإنسان حياة طيبة كريمة .

(٢-٥) - أثر التوكل على الله فى بركة الأرزاق

من عقيدة المسلم حسن التوكل على الله فى جميع أعماله ، وهذا من دليل الإيمان الصادق ، ولقد أمرنا المولى ﷺ بذلك فى العديد من الآيات القرآنية فى قوله : ﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾ (المائدة : ٢٣) ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ (التغابن : ١٣) ، ويقول الرسول ﷺ فى السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب : " هم الذين لا يسترقون ، ولا يكتسبون ،

^١ - د. يوسف القرضاوى ، " دور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى " ، مرجع سابق ، ص ١٥٣-١٥٤

ولا يتطهرون ، وعلى ربهم يتوكلون " (متفق عليه) ، ويقول الإمام ابن قيم الجوزية : " التوكل نصف الدين ، والإجابة النصف الثانى ، فإن الدين استعانة وعبادة ، فالتوكل استعانة ، والإجابة هى العبادة ^١ " ... ويقول : ولا يقدح التوكل الأخذ بالأسباب بل يجب الأخذ بكافة الأسباب المطلوبة لأى عمل ، فلا كسب بلا جهد ، ولا ثمرة بدون الأخذ بأسبابها الفطرية ... ونتائج المسببات يفوضها العبد إلى الله الخالق الرازق ، ومن ناحية أخرى ، لا ينبغى للمسلم أن يعتقد أن الأخذ بالأسباب وحدها واعتبارها كل شىء مجردة من مشيئة الله وقدرته ، ففى ذلك كفر وشرك .

وفى مجال ربط التسبب والتوكل بالأرزاق ، نجد القرآن الكريم يتضمن نماذج حياة عظيمة توضح وتنظم المفهوم السليم للتوكل ، وأثره على الرزق ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ومن يثق بالله يجعل له مخرجاً ، ويورثه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ (الطلاق : ٢-٣) ، وقد قرأ النبى ﷺ هذه الآية على أبى ذر وقال له : " لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم " ، يعنى لو حققوا التقوى والتوكل لاكتفوا بذلك فى مصالح دينهم ودنياهم ، وقال أبو فرج بن رجب الحنبلى : إن تحقيق التوكل لا ينافى السعى فى الأسباب التى قدر الله سبحانه وتعالى المقدورات بها وجرت سنته فى خلقه بذلك ، فإن الله تعالى أمر بتعاطى الأسباب مع أمره بالتوكل ، فالسعى فى الأسباب بالجوارح طاعة له ، والتوكل بالقلب عليه إيمان به .. من طعن فى الحركة يعنى فى السعى والكسب فقد طعن فى السنة ، ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان ، فالتوكل حال النبى ﷺ ، والكسب سنته ، فمن عمل على حاله فلا يترك سنته ^٢ .

^١ - ابن قيم الجوزية ، " مدارج السالكين " ، ج-٢ ، ص ١١٩ .

^٢ - زين الدين أبى فرج بن رجب الحنبلى ، " جامع العلوم والحكم " ، دار الدعوة ، ص ٣٨٠ .

وفي هذا المقام يؤكد الدكتور يوسف القرضاوى : "على أن المؤمنين المتقين هم الذين يأخذون بالأسباب ، ويجتهدون أن يكونوا دأماً ، أحسن عملاً ، مسلحين بالتوكل على الله معتمدين بكمارم الأخلاق ، ولهذا يبارك الله جهودهم فى الدنيا ولا يضيع أجرهم فى الآخرة " ، وهذا المعنى سبق أن أوضحناه من قبل ، حيث يصعب الفصل فى حياة المؤمن بين القيم والأخلاق والمعاملات ونحو ذلك فكله يمثل منظومة واحدة ونظاماً متكاملماً مثل الجسد الواحد ، وأصل ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ (الملك : ١٥) ، يقول ابن كثير رحمه الله : " أن الله ذكر نعمه على خلقه فى تسخير الأرض لهم وتذليله إياها بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهياً فيها من المنافع ومواقع الزروع والثمار وقال لخلقهم : سافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا فى أقاليمها وأرجائها فى أنواع المكاسب والتجارات ، واعلموا أن سعيكم لا يجدى عليكم شيئاً إلا أن يبسره الله لكم ، فالسعى فى السبب لا ينافى التوكل .. فإله سبحانه المسخر الميسر المسبب " .^١

ويضيف صاحب الظلال إلى ما سبق : "أن الرزق الذى فى الأرض كله من خلق الله ، وكله من ملكه ، وهو أوسع مدلولاً مما يتبادر إلى أذهان الناس من كلمة الرزق ، فليس هو المال الذى يجده أحدهم فى يده ، ليحصل على حاجاته ومتاعه ، إنما هو كل ما أودعه الله هذه الأرض من أسباب الرزق ومكوناته " .^٢

١ - دكتور يوسف القرضاوى ، " أولويات الحركة الإسلامية " ، دار الرسالة ، صفحة ٦٠ .

٢ - ابن كثير ، " تفسير القرآن العظيم " ، الجزء الرابع ، ص ٣٨٤ .

٣ - سيد قطب ، " فى ظلال القرآن " ، الجزء السادس ، ص ٣٦٢٨ .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماسا ، وتروح بطانا " (رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن صحيح) ، ونستنبط من هذا الحديث مجموعة من المفاهيم يجب الوقوف عندها منها ما يلي :

- صدق وحسن التوكل على الله ، وهذا المشار إليه في الحديث " حق توكله " .
- نموذج توكل الطير : يتضمن هذا النموذج السعي والأخذ بالأسباب وهذا واضح جلي في قوله ﷺ تغدو ، وتروح ، فالطائر لم يسكن في عشه ويأتيه الرزق ، بل غدى وراح .
- نستفيد من ذلك الحديث أن المسلم لا ينبغي له أن يترك العمل ، ويتوكل ويتكاسل ، ويرضى بالذل والهون والدنية رافعا شعار التوكل على الله ، ويكون عاليه على غيره ، فالسعي في طلب الرزق عبادة .

ولا يجوز إهمال الأخذ بالأسباب التي خلقها الله لعباده ويسرها لهم ، فقد جاء رجل على ناقة إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أدعها وأتوكل ؟ ، فقال رسول الله ﷺ له : " اعقلها وتوكل " (رواه الترمذي وابن حبان بسند جيد) ، ومعنى اعقلها : قيدها ، فقد رفض رسول الله ﷺ مبدأ التراخي والتهاون والتكاسل بأن يترك الرجل الناقة في الفلاة بدون ضابط معتقداً بأن الله سوف يحفظها بدون الأخذ بأسباب الحفظ ، فقال له رسول الله ﷺ : " اعقلها " ثم توكل على الله .

ويحث رسول الله ﷺ الناس على الأخذ بالأسباب في طلب الرزق ، فيقول ﷺ : " ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده " (البخاري) .

فلا يستقيم التوكل مع نفي الأسباب ، بل يجب على المتوكل أن يسير مع الأسباب معنى ومبنى ، وفي هذا المقام يقول ابن قيم الجوزية : " لا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل ، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية " .

^١ - ابن قيم الجوزية ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، صفحة ١٢٥ .

ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي ناساً من أهل اليمن ، فقال من أنتم؟ قالوا نحن المتوكلون ، قال بل أنتم المتوكلون ، إنما المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض ويتوكل على الله^١ .

(٢-٦) - أثر الالتزام بالأخلاق الحسنة في بركة الأرزاق

لقد أتى الله ﷻ على رسوله الكريم محمد ﷺ فقال له : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ (القلم : ٤) ، ويقول الرسول ﷺ عن نفسه : " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق " (أبو داود) ، وربط الرسول ﷺ الإيمان بالأخلاق فقال : " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً " (رواه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح) .

ولقد أمرنا الله ﷻ بحسن الخلق فقال : ﴿ **ادفع بالنى هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم** ﴾ (فصلت: ٣٤) ، والالتزام بالأخلاق الحميدة من منظور الإسلام عبادة وطاعة وامتثالاً لأوامر الله ﷻ ، ولقد تمكن التجار المسلمون من نشر الإسلام في كثير من دول العالم من خلال حسن خلقهم أثناء التعامل مع غير المسلمين ، وربحوا في التجارة مع الله ﷻ وفي التجارة مع الناس .

والالتزام بالأخلاق الحميدة يحقق البركة في الأرزاق ، فإذا كانت الأخلاق السيئة مثل الكذب والغش تمحق الرزق ، فإن الأخلاق الحسنة مثل: الإخلاص والصدق ، والأمانة ، وحسن المعاملة ، وحسن الوفاء والأداء ، والعدل ، والتسامح ، والتيسير وصلة الأرحام تزكى الرزق وتُسبب البركة .

^١ - زين الدين أبي فرج رجب الحنبلى ، مرجع سابق ، صفحة ٣٨٤ .

وليس هذا هو المجال لتناول تلك الأخلاق تفصيلا ، فيرجع بشأنها إلى المؤلفات المتخصصة مثل : كتاب الأخلاق للشيخ عبد الله دراز وكتاب خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي ، وكتاب دور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى للدكتور يوسف القرضولى ، ولكن نعرض نماذج من تلك الأخلاق ودورها فى تحقيق البركة فى الأرزاق .

* أثر خلق الأمانة فى بركة الرزق : يبارك الله ﷻ للمسلم الأمين فى معاملاته ، ولقد رفع رسول الله ﷺ منزلة التاجر الصادق الأمين إلى مرتبة الشهداء والصالحين فى الآخرة ، فقال ﷺ : " التاجر الصدوق الأمين مع الصديقين والشهداء " (الترمذى) ، والتفسير الاقتصادى لهذا الحديث وهو أن الناس يفضلون التعامل مع التاجر الأمين الصادق الذى لا يغش ولا يدلس ولا يقامر ولا ينقض الموثيق والعهود ، وهذا يودى إلى زيادة التعامل معه فتزداد مبيعاته وينمو ماله ويبارك الله له فى ربحه .

* أثر خلق الصدق فى بركة الرزق : الصدق مجلبة للرزق الطيب الحلال المبرك ، والكذب محقة للرزق ، ولقد أمر الرسول ﷺ بالصدق فى كل شىء ، وشدد على التجار بصفة خاصة ، فقال : " إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا ، إلا من اتقى الله وبرو صدق " (الترمذى) ، وقال فى حديث آخر رواه ابن ماجه وابن حبان : " إن التجار هم الفجار ، قالوا يا رسول الله : أليس الله قد أحل البيع ؟ ، قال بلى ولكنهم يحلفون فيأثمون ، ويحدثون فيكذبون " فإذا كان الكذب محقة للرزق ، فإن الصدق مجلبة للرزق .

* أثر خلق الشكر فى بركة الرزق : الحمد والثناء على الله ﷻ بما أنعم ورزق ، وشكره عليه يحقق البركة والزيادة العددية والمعنوية والحسية فيه ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ نَأْذِنُ بَكُمْ لَعَنَ شُكْرَتِكُمْ لِأَزِيدَكُمْ ﴾ (إبراهيم : ٧) ، ولقد أمرنا

الرسول ﷺ بالشكر في كل الأحوال فقال : " من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب " (رواه أحمد وابن أبي الدنيا) ، ويقول ابن قيم الجوزية : " الشكر منزلة فوق منزلة الرضا ، إذ يستحيل وجود الشكر بدونه ، وهو نصف الإيمان ، فالإيمان صبر وشكر ، وقد أمر الله به ونهى عن ضده ، ووعد أهله بأحسن الجزاء وجعله سببا للمزيد من فضله ... "

* أثر خلق القناعة والعفاف في بركة الرزق : الرضا التام بما أعطى الله ﷻ من الرزق يحقق البركة فيه ولو كان قليلا ، فعن عبد الله بن عمر ﷻ أن رسول الله ﷺ قال : " قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافا ، وقنعه الله بما آتاه " (رواه مسلم) ، وعن حكيم بن حزام ﷻ قال : سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم قال : يا حكيم : إن هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراق نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى " (متفق عليه) ، ويقول الرسول ﷺ : " من أصبح منكم آمنا في سربه ، معافا في جسده ، عنده قوت يومه فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها " (رواه الترمذي) ، وكان الإمام علي ﷻ يدور في الأسواق ويقول : " معاشر التجار خذوا الحق تسلموا ، ولا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره " ، ويقول ابن خلدون : " إن الربح بالنسبة لأصل رأس المال يجب أن يكون نذرا بسيطا ، لأن المال إذا كثر عظم الربح لأن القليل في الكثير كثير " ، ويقول الرسول ﷺ : " ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بغفو إلا عزا وما تواضع أحد إلا رفعه الله " (البخاري ومسلم والترمذي) ، ولقد ورد في الأمثال والحكم : القناعة كنز لا يفنى .

١ - ابن قيم الجوزية ، " مختصر مدارج السالكين " ، دار الدعوة ، صفحة ٨٩ .

* أثر خلق صلة الرحم في بركة الرزق : الرحم مشتقة من اسم الله "الرحمن" ومن صفات الله الرحيم ، وأمرنا الله ﷻ بصلتها في كثير من الآيات وجعل ذلك من صفات المؤمنين المتقين ، فقال تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ** ﴾ (النساء : ١) ، وقال ﷻ : ﴿ **وَأَلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ** ﴾ (الأحزاب : ٦) ، وجعل الله من يقطع رحمه من المفسدين في الأرض ، وهذا وارد في قوله تبارك وتعالى : ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ** ﴾ (محمد : ٢٢) ، وفي الحديث القدسي ، قال الله ﷻ : " أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي ، فمن يصلها أصله ، ومن يقطعها أقطعه فأبته " (الإمام أحمد وأبو داود والترمذي) .

والأحاديث النبوية الشريفة عن صلة الرحم قوله ﷻ : "إن الرحم معلقة بالعرش ، وليس الواصل بالمكافي ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها " (البخاري وأحمد) .

وعن علاقة صلة الرحم بالأرزاق ، يقول الرسول ﷺ " من سره أن يُبَسَّطَ له في رزقه وأن يُنْسَأَ له في أثره فليصل رحمه " (البخاري) ، والمعنى أن الله ﷻ يوسع أرزاق من يصل رحمه ، ويطيبل له في عمره .

* تعليق على دور الأخلاق في جلب الرزق

في الماضي كان الفكر السائد هو فصل الأخلاق عن جلب الأرزاق ، وترتب على ذلك الكثير من المشكلات النفسية والسلوكية والاجتماعية ولا سيما في مجال الأعمال .. والتي صعب حلها من خلال النظم واللوائح والقوانين ، وظهر فكر جديد يتزعمه العديد من المفكرين الغربيين بضرورة العودة مرة أخرى إلى القيم والأخلاق ، وتقوم نظريتهم الجديدة على المبدأ القائل : " الأخلاق الحسنة تؤدي إلى أعمال تجارية رابحة " ، وبلغت أخرى ، الالتزام بالأخلاق يقود إلى مزيد من الأرزاق .

وهذه النظرية الجديدة ، تعتبر من أصول الفكر الإسلامى ، ولكن الباعث على الالتزام بالأخلاق فى جلب الأرزاق فى الإسلام هو الإيمان الكامن فى النفوس ووجود الضمير الحى الرقيب على المسلم فى السر والعلن ، وأن الامتثال بالأخلاق من واجبات الدين والطاعة لله ولرسوله ، وبهذا يبرز الفرق بين بواعث الالتزام بالأخلاق فى الفكر الإسلامى وفى الفكر الوضعى^١ .

(٧-٢) - أثر الالتزام بالضوابط الشرعية فى بركة الأرزاق

الصلاح والإخلاص من موجبات رضا الله ﷻ وتحقيق البركات ، ولقد ورد ذلك فى قول الله ﷻ تبارك وتعالى فى نهاية سورة الكهف : **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾** (الكهف : ١١٠) ويكون العمل صالحا إذا كان مطابقا لشرع الله ﷻ سبحانه وتعالى ، ومن يحيد عن ذلك لا يبارك الله له فى رزقه ولا فى ولده ، ولا فى أى شىء حتى ولو بسط له الرزق فهذا ابتلاء واستدراج ثم يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر .

والملتزم بشرع الله ﷻ لا يضل ولا يشقى بل يبارك الله له فى رزقه ، وأصل ذلك قول الله ﷻ عز وجل : **﴿فإما يأتينكم منى هدى ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ..﴾** (طه : ١٢٣-١٢٤) ، وقوله سبحانه وتعالى : **﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ، ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا﴾** (الجن : ١٦-١٧) ، وهذا من سنن الله ﷻ سبحانه وتعالى فى خلقه ، ليس فى أمة سيدنا محمد ﷺ فقط بل فى الأمم السابقة كذلك ، فقد قال الله ﷻ فى أهل الكتاب : **﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل**

^١ - لمزيد من التفصيل يرجع إلى مؤلفنا : "البناء الإسلامى لقيم رجال الأعمال" ، دار النوريع والنشر الإسلامية ، القاهرة ،

إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتتدة وكثير منهم ساء ما يعملون (المائدة : ٦٥-٦٦) ، ولقد ورد عن القرطبي في معنى هذه الآيات .. ولو أنهم عملوا بمقتضى التوراة والإنجيل وعدم تحريفهما لوسعنا عليهم فى أرزاقهم وأكلوا أكلا متواصلأ ، فجعل الله التقى من أسباب الرزق ووعد بالمزيد لمن شكر .. " ، وقال صاحب تفسير غرائب القرآن : لو عملوا بما فيهما من الوفاء بعهود الله تعالى ، ومن الإقرار بنبوة محمد ﷺ وحافظوا على أحكامها وحدودهما أو أقاموا نصب أعينهم تطبيقهما لنلا ينسوا من التكاليف .. والحاصل أنه سبحانه وتعالى وعدهم سعادة الدارين بشرط الإيمان بمحمد ﷺ وقدم السعادة الأخرىة بقسميها وهما دفع العذاب ، وإيصال الثواب لشرفها .. من عرف مقصوده فإنه يكون قاصداً له على الطريق المستقيم من غير انحراف ولا اضطراب"^١

وهذه التفاسير تقرن الالتزام بشرع الله ﷻ بتوسعة الأرزاق والحياة الكريمة فى الدنيا وبين تكفير الذنوب والفوز بالجنة فى الآخرة وينطبق ذلك على الالتزام بأحكام التوراة والإنجيل بدون تحريف وعلى ما ورد بالقرآن الكريم .

ولقد اهتم رسول الله ﷺ بالالتزام بالضوابط الشرعية فى مجال جلب الأرزاق بصفة عامة وفى مجال المعاملات بصفة خاصة ، فصلت السنة الشريفة الحلال لنتبعه ، والحرام لنتجنبه ، كما قنن فقهاء المسلمين ذلك فى صورة مجموعة متكاملة وشاملة من القواعد والأحكام والمبادئ وارده تفصيلاً فى كتب فقه المعاملات^٢ ، ومن الأحكام الشرعية الواجب الالتزام بها فى جلب الأرزاق ما يلى^٤ :

^١ - تفسير القرطبي ، الجزء الثالث ، صفحة ٢٢٣٨ .

^٢ - نقلأ عن : " فتح الرحمن فى تفسير القرآن " ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٧٨٢ .

^٣ - يرجع فى هذا الشأن إلى أبواب فقه المعاملات فى كتب الفقه .

^٤ - لمزيد من التفصيل يرجع إلى مؤلفنا بعنوان : " الالتزام بالضوابط الشرعية فى المعاملات المالية ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ،

١٤١٧هـ/١٩٩٧ ، " و الميثاق الإسلامى لقيم رجال الأعمال " ، نفس الناشر ١٤١٩هـ/١٩٩٨ م .

- أن يكون مصدر الرزق حلالاً طيباً .
- تجنب البيوع غير المشروعة مثل : الاحتكار والاستغلال والغرر والجهالة والتدليس والغش والنجش والعينة والتلجئة .. وكل صيغ البيوع غير المشروعة .
- تجنب المعاملات الربوية ولاسيما التي تقع في الشبهات .
- تجنب التعامل مع أعداء الدين والوطن الحريين حتى لا تكون فتنة .
- الالتزام بالأولويات الإسلامية في الإنتاج والكسب والتعامل والإنفاق .
- إيتاء حق الله في المال : الزكاة والصدقات .
- إعطاء المجتمع حقه .
- جلب المنافع ودرء المفسدات للمجتمع .
- إعطاء العمال حقوقهم بدون بخر ولا إضرار .
- توثيق المعاملات والعقود والاتفاقيات والإشهاد عليها .
- تجنب الإسراف والتبذير والمظاهرة والخيلاء والترف وما في حكم ذلك .
- التوازن بين نصيب الدنيا ونصيب الآخرة في توزيع الأرزاق .
- كثرة الاستغفار لتركية الأرزاق وتميئتها .

(٢-٨) - أثر إتقان العمل وتحسينه في بركة الأرزاق

العمل في الإسلام ضرورة شرعية ، وحاجة بشرية ، وعبادة لله ، وامتثالاً لأوامره ، فهو القائل سبحانه وتعالى : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها ، واكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ (الملك : ١٥) ، وقوله ﷻ : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ (الجمعة : ١٠) ، يأمرنا الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات المباركات بضرورة السعي والانتشار في الأرض للحصول على الرزق

الطيب كغذاء مادى للبدن ليقوى على عبادة الله ﷻ ، كما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على السعى والضرب فى الأرض طلباً للرزق ، فقد قال ﷺ : " جعل رزقى تحت ظل رمحى " (رواه أحمد) ، وقال ﷺ " إن أشرف الكسب كسب الرجل من يده " (رواه أحمد) ، وقال ﷺ " العبادة عشرة أجزاء : تسعة منها فى طلب الحلال " (متفق عليه) .

وإتقان العمل وتحسينه فى الإسلام واجب دينى ، ويقصد به بذل أقصى درجات الجهد البشرى والاستعانة بالأساليب والأدوات المعاصرة والمتاحة للوصول بالنتائج إلى الدرجات والمستويات العليا ، ولا يقوم به إلا ذوو الهمم العالية والإرادات القوية .

ولقد ورد بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ما يدل على وجوب إتقان العمل وتحسينه فى كافة مجالات الحياة لتحسين الجودة^١ .

فما ورد بالقرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى :

* ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، إننا لنضيم أجر من أحسن عملاً ﴾
(الكهف: ٣٠) .

* ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ (البقرة: ١٩٥) .

* ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ (الملك: ٢) .

* ﴿ ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ (النجم: ٣١) .

^١ - دكتور فتحى السيد لاشين ، " المنهج الإسلامى فى الجودة وأساليب مراقبتها " سما للنشر ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ،

- * **﴿ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾** (النساء: ١٢٥) .
- * **﴿ ليلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾** (هود: ٧) .
- * **﴿ ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾** (النحل: ٩٧) .

وتدور معانى الآيات السابقة إلى وجوب الإحسان فى حياة المسلم فى العبادات والمعاملات وفى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، ومن ثمرات الإحسان الجزاء الأوفى من الله سبحانه وتعالى فى الدنيا والآخرة .

ولقد فصلت السنة النبوية الشريفة الإحسان والإتقان فى العمل ، وأعطى الرسول ﷺ ، نماذج عملية لذلك منها على سبيل المثال : قوله ﷺ : "إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن" (رواه البيهقى) ، وجاء هذا الحديث برواية أخرى تحمل نفس المعنى ، يقول الرسول ﷺ : "إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه" (رواه البيهقى) ، ويقول ﷺ : "إن الله تعالى يحب العبد المحترف" (رواه الطبرانى) ، ويقول الرسول ﷺ : "إن الله كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته" (مسلم والترمذى) ، وهذه الأحاديث تشير إلى ضرورة إتقان العمل وتحسينه فى كافة جوانب الحياة

ويحقق الالتزام بالإتقان والجودة منفعة دنيوية وهى زيادة الكسب والمنفعة ، أى البركة فى الأرزاق ، كما أن لذلك ثواباً فى الآخرة لأن إتقان العمل عبادة ، وليس هناك من حرج شرعى فى الاستعانة بأهل الاختصاص والخبرة فى تحسين الجودة ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم فى قول الله تبارك وتعالى : **﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾** (النحل: ٤٣) ، وقوله ﷺ : **﴿ ولا ينبؤكم مثل خبير ﴾** (فاطر: ١٤) ،

وقوله تعالى ﴿ **فاسأل به خبيراً** ﴾ (الفرقان: ٥٩) كما أن الاستعانة بالأساليب الحديثة والمخترعات التى تفتتت عنها عقول البشر بصفة عامة واجب شرعى وضرورة بشرية ، ولقد حث رسول الله ﷺ على ذلك بقوله: " الحكمة ضالة المؤمن ، أنى وجدها فهو أحق الناس بها" (الطبرانى والترمذى)

(٢-٩) - أثر الاستغفار فى بركة الأرزاق

الاستغفار هو طلب المغفرة من المعاصى والذنوب ، ولقد ورد مقترنا بالتوبة فى كثير من الآيات القرآنية ، (والتوبة تعنى الندم والعزم على عدم العودة إلى المعاصى والالتزام بالعمل الصالح) ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **فسبم بحمد ربك واستغفره ، إنه كان تواباً** ﴾ (النصر : ٣) ، ويقول ﷺ : ﴿ **واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم ودود** ﴾ (هود : ٩٠) .

وقال الله فى الحديث القدسى : " يا ابن آدم ، إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ، يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة " (الترمذى وقال : حديث حسن صحيح) .

كما ورد بالسنة النبوية الشريفة العديد من الأحاديث التى تحث المسلمين على الاستغفار والتوبة على دوام الأحوال ، منها قوله ﷺ : " والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة" (البخارى) ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنا نعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة : " رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم " (أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح) .

والاستغفار من موجبات الأرزاق ، فقد ورد فى القرآن الكريم على لسان سيدنا نوح عليه السلام لقومه : ﴿ **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ، ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً** ﴾ (نوح : ١٠-١٤) ، ولقد ورد فى تفسير هذه الآيات العديد

من المعانى العظيمة التى يجب على المسلم أن يعيها تماما، فيقول ابن كثير رحمته الله : " أى ارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب ، فإنه من تاب إليه تاب الله عليه ، ويرسل الأمطار متواصلة يتبع بعضها بعضا ويكثر الرزق عليكم ، ويسقيكم من بركات السماء ، وينبت لكم من بركات الأرض ، ويعطيكم الأموال والبنين ، ويجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار ، ويتخللها بالأنهار الجارية بينهما " .

ويقول صاحب الظلال رحمه الله فى بيان معنى الآية السابقة : " قد ربط الله بين الاستغفار والأرزاق ، وفى القرآن مواضع متكررة فيها هذا الارتباط بين صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله وبين تيسير الأرزاق وعموم الرخاء ، وهذه القاعدة صحيحة تقوم على أسبابها من وعد الله ، ومن سنة الحياة ، كما أن الواقع العملى يشهد بتحققها على مدار القرون ، والحديث فى هذه القاعدة عن الأمم لا عن الأفراد ، وما من أمة قام فيها شرع الله ، واتجهت اتجاها حقيقيا لله بالعمل الصالح والاستغفار المنبئ عن خشية الله .. ما من أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته ، فحققت العدل والأمن للناس جميعا إلا فاضت فيها الخيرات ومكن الله لها فى الأرض واستخلفها فيها بالعمران والصلاح سواء " .

كما ربط الله صلى الله عليه وسلم بين الأمطار التى هى من أسباب الأرزاق والخيرات فى الأرض فى نداء سيدنا هود عليه السلام إلى قومه (قوم عاد) قوله : ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، إن أنتم إلا مخترون، يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجرى إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلون، ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ﴾ (هود : ٥٠٠-٥٢) ، ولقد ورد فى تفسير هذه الآيات أن هودا عليه السلام طلب من قومه الاستغفار الذى فيه تكفير الذنوب والتوبة

١ - مختصر تفسير ابن كثير ، جـ ٣ ، صفحة ٥٣٣ .

٢ - سيد قطب ، " فى ظلال القرآن " ، جـ ٦ ، صفحة ٣٧١٣ .

لما يستكبرون ، ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه وسهل عليه أمره وحفظه أنه^١ ويرسل لهم السماء بالأمطار يستقون بها زروعهم ودوابهم فى الصحراء ، وينتفعون الخصب الناشئ من هطول الأمطار فى تلك البقاع^٢.

ومن المعالم الظاهرة فى الآيات القرآنية السابقة العلاقة السببية بين عقيدة التوحيد بين الاستغفار وبين مسببات الأرزاق ومنها الأمطار والأرض وما يخرج منها من لزروع والثمار التى يسعى إليها الناس ومن مطلوباتهم ، وهذا تأكيد على حقيقة شمولية لإسلام وأنه لا يمكن الفصل بين القيم الإيمانية والأخلاقية وبين مسببات الأرزاق .

ولقد فصلت السنة النبوية العلاقة بين الاستغفار والأرزاق فى عديد من الأحاديث لشريفة ، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ، ومن كل هم فرجاً ، ورزقه الله من حيث لا يحتسب" (أبو داود وابن ماجه) ، فمن فضل الاستغفار أن الله ﷻ يفرج به ما يهتم له المسلم ويزيل سببه وينجيه من الهم ويوسع له فى رزقه ويبارك له فيه ، كما أن الاستغفار بتوبة نصوح يظهر ويصلح القلوب ، فتتحرك الجوارح المكلفة بجلب الأرزاق إلى السبل الحلال ، فتكون البركة بإذن الله عز وجل ، ومن ثم فقد وصانا الرسول ﷺ بمداومة الاستغفار وكان الأسوة الحسنة لذلك ، فقال : " والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة" (البخارى) ، وقال الحسن البصرى : " أكثروا من الاستغفار فى بيوتكم وعلى موائدكم وفى طرقكم وفى أسواقكم وفى مجالسكم وأينما كنتم فإنكم ما تدرن متى تنزل المغفرة " .

والاستغفار وقاية من كسب الرزق الحرام أو التعامل مع الخبائث إذا كان صادقاً ويقيناً ، وهذا يحقق البركة والنماء ، كما أن الاستغفار يضبط المسلم على طريق الفلاح والخيرات .

^١ - مختصر تفسير ابن كثير ، جـ ٢ ، صفحة ٢٢٢ .

^٢ - سيد قطب ، مرجع سابق ، جـ ٤ ، صفحة ١٨٩٦ .

(٢-١٠) - خاتمة .

بما أن المعاصى والذنوب تحقق البركات من الأرزاق ، فإن الطاعات والأعمال الصالحات تحقق البركات الظاهرة وغير الظاهرة التى يستشعرها الإنسان بقلبه ، وتمثل فى زيادة المنافع فى الحياة الدنيا والأجر والثواب فى الآخرة ، والمسلمون فى هذا العصر فى أشد الحاجة إلى أن يفقهوا ما يوجب البركات فى الأرزاق لعلاج ما يشكون من المحق فنجدهم يضطرخون ويقولون :

- ❁ الراتب ليس فيه بركة .
- ❁ مال كثير ولا يكفى مؤنة الحياة .
- ❁ عندما يأتى المال يفتح له أكثر من باب .
- ❁ يا ليت أحدا يأخذ مالى ويرد لى عافيتى .
- ❁ لماذا ابتلانا الله بالأمراض .
- ❁ وهكذا .

فلو أن هؤلاء عرفوا ما يحقق لهم البركة فيما رزقهم الله ، واستقاموا على طريق الأعمال الصالحة وأطاعوا الله ورسوله ، لتحقق لهم الخير فى الدنيا والآخرة ، ولكن أخذهم الله بما كانوا يكسبون ، ويقع على عاتق العلماء والفقهاء ورجال الدعوة الإسلامية المسئولية فى أن يبصروا هؤلاء بالمبادئ والأحكام الإسلامية الموجبة للبركة فى الأرزاق ليلتزموا بها .

وفى ضوء ما سبق بيانه تفصيلا فى هذا الفصل نستنبط منه موجبات تحقيق البركات فى الأرزاق فى صورة وصايا وتوجيهات :

أولا : الإيمان التام بأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وكتب له رزقه وأجله ، مصداقا لقول الرسول ﷺ : " لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا

في الطلب ، خذوا ما حل ، ودعوا ما حرم " (البيهقي ، وابن ماجه) ، وهذا الإيمان يوجه المسلم صوب الحلال ويبعده عن الحرام ، وبذلك تتحقق البركة في الرزق .

ثانيا : الالتزام بتقوى الله سبحانه وتعالى وتتمثل في العمل بالتزليل ، والخوف من الجليل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، والرضا بالقليل " ، والتقوى تعنى استشعار مراقبة الله ﷻ وهذا يضبط المسلم نحو ما يرضى الله ، وبذلك تتحقق البركة في الرزق .

ثالثا : التسبب والتوكل على الله سبحانه وتعالى الخالق الرزاق ، ومن يفعل ذلك بصدق وإخلاص يبارك الله له فيما رزقه ، بل ويرزقه من حيث لا يحتسب ، والتوكل لا يغنى عن التسبب لأن ذلك من السنن الكونية وما يرزق به الله ، يزيد نفعه وبركته عند الإيمان بأنه من عند الله .

رابعا : الالتزام بالقيم الأخلاقية الحميدة مثل : الإخلاص والصدق والأمانة وحسن المعاملة وحسن الأداء والقناعة والتسامح والتيسير وصلوة الأرحام ، والدافع للمسلم بالالتزام بهذه القيم هو العبادة ، والطاعة لله سبحانه وتعالى ، وليس لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها .. فإذا صدقت النية مع الله تحققت منه عز وجل البركة .

خامسا : إتقان العمل وتحسينه من مسببات الأرزاق ، والالتزام بذلك عبادة وطاعة لله ولرسوله والباعث على ذلك حب الله ، مصداقا لقول الرسول ﷺ : "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه" (رواه البيهقي) .

سادسا : المسارعة إلى التوبة والاستغفار ، فقد ورد في القرآن الكريم على لسان سيدنا نوح وهو يدعو قومه ، قوله عليه السلام : ﴿ فقلنا استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ، ما لكم لا ترجون لله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا ﴾ (نوح : ١٠-١٤) ، وورد عن رسول الله ﷺ : "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ، ومن كل هم فرجا ، ورزقه الله من حيث لا يحتسب" (أبو داود وابن ماجه) .